



القومية العربية في مصر - توفى

بقلم

الدكتور احمد محمد الحوفي

بحث قدم الى مؤتمر الادباء العرب الخامس

١٥ - ٢١ شباط ١٩٦٥

بغداد

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
فلسي 9 / ذو الحجة / 1443 هـ
فلسي 08 / 07 / 2022 م هـ

سرمد حاتم شكر الصامرائي

م. بتر مزاحاتير شكر



القومية العربية في مصر توتى

بقلم

الدكتور احمد محمد الحوفي

بحث قدم الى مؤتمر الادباء العرب الخامس

١٥ - ٢١ شباط ١٩٦٥

بغداد

مطبعة العاني - بغداد

ما كاد القرن التاسع عشر يتنفس صياحه حتى جعلت حماسة العرب
الى الوحدة تتأجج ، وأخذت عقول مفكرينهم ترسم المخطط وتدير ، وتشرح
أدياؤهم يدعون الى الوحدة ، وبشرون بها ، ويتلهغون على تحقيقها ، بعد
ان انفصلت عرى الخلافة العثمانية ، وسارع العرب الى مجاهدة المحتلين ،
ليحرزوا من اوهام الاحتلال البقيض .

وكلما مرت السنين ازدادت الامة العربية شعورا بحاجة الى تجميع
مرهوب ، ووحدة قوية وفيه تجمع شتاتها ، وتقف في مهب الاعاصير العاتية
كالطود الراسخ الانتم ، تحطم قوى الاستعمار دون سفحه فترتد حصيرة
مغلولة ، ويبقى الطود وطيد الأساس ، ثابت البناء ، ساخرا من اوهام
الاعداء .

ولقد طامنا حلجل شعراء العصر الحديث بالقومية العربية من الخليج
الى المحيط ، حاملين على الاستعمار الذي خرب العمران ، وقوض
البنيان ، وقعد بالعرب عن مجازاة الزمن ، وثفت في قواهم سموه الضعف
والانقسام ، وكاد ينسيهم ماضيهم وعزتهم الموروثة .

وحسبي أن أعرض بعض ما لشوقي من جهود في هذا المجال .

وحدة اللغة

١ - أثرها في الوحدة

تنبه شوقي الى أن اللغة أقوى رابطة في روابط القومية ، وأعظم سبب في جمع شمل الامة ، لانها تتفاهم بها ، وتقرأ تراثها المشترك ، وتعبر عن مشاعرها ، ولانها سجل أدبها وافكارها .
ولهذا أيا أس الترك من محاولاتهم التحفية على القومية العربية ، وتذويب العروبة في التركية ، لان اختلاف اللغة فجوة واسعة تفصل ما بين القوميتين فصلا لا سبيل الى التثامه ، ونصح لهم أن يتعلموا العربية ، ويصطنعوها لغة ثانية لهم ، ليتقربوا الى العرب بوسيلة أخرى مع فربي الدين . قال في سنة ١٩٠١ :

شمل اللغات لدى الاقوام ملتئم والضاد فينا يشمل غير ملتئم
فأقربوا بيتنا فيها وبينكم فانها أوثق الاسباب والذمم

ولم يكن شوقي خاليا في دعوته الترك الى أن يستعربوا ، أو الى أن يتعلموا اللغة العربية ليتدانوا الى العرب ، لانهم كانوا في عهدهم الاول يتعلمون اللغة العربية ويتكلمون بها ، ويضعون مؤلفات فيها ، مثل الفيروز آبادي وافي السعود وملا خسرو والنجامي وحاجي خليفة وابن كمال باشا .

وكان بعض ملوكهم يدرسون العربية وآدابها كما يدرسون التركية وآدابها ، ومنهم من كان يروى الشعر العربي وينظمه كالسلطان أحمد الاول .

ولم تضعف عنده علماء الترك باللغة العربية الا في عهد السلطان محمود الثاني وابنه عبدالمجيد الاول ، اذ احيوا اللغة التركية وسهلوا قواعدها ، وسموها اللغة العثمانية .

ولما ضرب الاسطول الفرنسي دمشق بمدافعه سنة ١٩٢٦ واسى نوفى سورية مواساة الاخ الوفي الملتاع ، وبصر السوريين بدساتن المستعمر ومكره ، واثار لهم طريق الجهاد بنصائحه ، ومهد لهذه النصائح البواعث التي دفعته الى النصح الخالص ، ليحسنوا الاصفاء ، ويحسنوا الاستجابة ، وكانت وحدة اللغة من هذه البواعث التي تربط قلوبهم بقلبه :

نصحت ونحن مختلفون دارا ولكن كذا في الهم شرق
ويجمعنا اذا اختلفت بلاد بيان غير مختلف ونطق

وفي قصيدته التي شكر بها لمكرمه بدمشق سنة ١٩٢٥ توجيه العمل الجاد الدائب المثمر ، وحث على الحفاوة بالعلوم والاداب ، وحث على التآخي والاتحاد ، ثم تعزيز لهذا النصح بأنه صدى لحسبه ايهم واخلاصه لهم ، لانهم اخوته جمعتهم عدة وشائج منها اللغة :

نصيحة ملؤها الاخلاص صادقة والنصح خالصة دين وايمان
ونحن في الشرق والفصحى بنورهم ونحن في الجرح والآلام اخوان

٢ - دفاعه عن اللغة

حينما نجحت المؤامرات الاستعمارية متوخية قطع الوشيجة الوثقى التي تربط العرب على اختلاف ديارهم ، وهي اللغة العربية الفصحى ، باثار اللهجات المحلية عليها ، وباتهام الفصحى بالجمود والعجز عن مسايرة الحضارة الحديثة ، هب الشعراء ينودون عن الفصحى ما يراد بها من كيد وبصرون العرب بما يبيت لهم من شر ، ودعوا قومهم الى الاستمسك

بوحدة لغتهم ، والاعتزاز بماضيها ، والفخر بما خلفه من تراث عظيم
خالد ، وفقدوا دعاوى الاعداء وأبطلوها .

من هؤلاء الشعراء شوقي ، فقد دافع عن الفصحى بأنها ليست
كالعامية في أن قدرتها متوسطة بالتعبير السهل عن الشؤون العادية في البيت
والسوق ، مع عجزها عن التعبير العلمي والادبي ، بل ان الفصحى
وحدها هي القديرة على الافتتان الادبي ، وعلى جلاء التعبير العلمي ، وهو
بهذا يرد على الذين اتهموها باطلا بالجمود والتخلف وزعموا أن العامية
أكثر منها قدرة ومرونة .

ثم عزز حجته بان الفصحى لغة القرآن الكريم والحديث النبوي
الشريف ، وهما المصدران الاولان للتشريع الاسلامي ، وهما ذروة
البلاغة العربية ، وارتباط الفصحى بهما يحيطها بهالة من العظمة والقداسة ،
فكيف يتهاون العرب في حمايتها من العدوان ؟ ولماذا لا ينهضون بها الى
الاجح الذي تستعيد فيه حيويتها وقدرتها على مسايرة العلم والحضارة ؟
وأضاف الى هذا أنها لغة ثرية مرنة صالحة للتعبير عن حاجات كل
عصر ، اذا ما لقيت من ابنائها حبا عليها ، ورعاية لها ، واعترازا بها .

ثم طالب الشاكين في هذه الحقيقة أن ينهضوا بانفسهم ، وان يرتقوا
في سماء العمران ، فانهم سيجدونها تصاحبهم في صعودهم ولا تتخلف
عنهم ، ومثل لهذا بأن يجلوا عمرانهم روضة يانعة ، ليجدوا الفصحى
تجري جداول عذبة في هذه الروضة فتسقيها وتحييها ، ونهاهم عن
ترقيعها بكلمات دخيلة مسروقة من لغات شتى ، لان الترقيع لا يجدي ولا
يفني ، بل يشوه ويؤذي . ولم يفته ان يدل على ثرائها بماضيها العريق
في بغداد ودمشق والقاهرة والاندلس وفارس وغيرها ، اذ زكت أصولها ،
وبستت فروعها ، ونهضت بمقتضيات العصر في جميع المرافق ، ولم
تقصر في شيء مما أراد أهلها ، فمحت غيرها من اللغات ، واستقرت
واستقلت محافلة على خصائصها وكيانها .

قال شوقي :

ان للفصحى زماما ويسدا
لغة الذكر لسان المجتبى
كل عصر دارها ان صادفت
أنت بالعمران روضا ينعما
لا تجئها بالتساع المقتضى
سل بها أندلسا هل قصرت
غرست في كل ترب أعجم
ومشت مشيتها لم ترتكب

تجنب السهل وتقتاد الصعاب
كيف تبا بالنادين جوابا ؟
مترلا رجاً وأهلا وجانبها
وادعها تجر ينابيع عذابها
سرقاً من كل قوم وسهاها
دون مضمار الفلاحين أهابها
فزكت أصلا كما طابت نصيبها
غير رجليها ولم تحجل غرابها

وردد هذه الفكرة في قوله يناجي الاسكندرية :

فخذي كأس من الثقافة زينة
وتقلدى لغة الكتاب فانهما
بنت الحضارة مرتين ومهدت
وسمت بقرطبة ومصر فالتما
وفي قوله :

وتجملي بشبابك التجمياء
حجر البناء وعدة الاشياء
للملك في بغداد والفيحاء
بين الممالك ذروة العلياء

ان الذي ملأ اللغات محاسنا
جعل الجمال وسره في الضاد

وفي قوله مشيدا بالقرآن الكريم والحديث الشريف :

جاء النيون بالآيات فانصرمت
آياته كلما طال المدى جدد
يكاد في لفظة منه مشرقا
يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة
حليت من عطّل جيد البيان به
بكل قول كريم أنت قائله

وجئنا بحكيم غير مصرم
يزينهن جلال العشق والتقدم
بوصيك بالحق والتقوى وبالرحم
حديثك الشهد عند الذائق الفهم
في كل منتشر في صف متظيم
يحيى القلوب ويحيى ميت الهمم

الوجدان المشترك

يذكر علماء النفس وعلماء الاخلاق ان للوجدانات آثارا عظيمة في حياة الانسان ، وسيطرة قومية على سلوك الافراد والجماعات ، ويذكرون أن الوجدان المشترك هو المظهر الوجداني الاجتماعي ، كالشفقة على المصابين ، والحنو على الضعفاء ، ومقاسمة التآلمين آلامهم ، والمحبورين سرورهم . وهذه المشاركة الوجدانية هي المثير القوي لانفعالات المجتمع ، والدافع الاصيل لكثير من أعماله ، كالذعر عند الخطر ، والغضب عند الاعتداء على الدين أو الوطن ، وهي أساس النهضة الاجتماعية ، والعامل الاقوى في توحيد الميول والمواطف .

وليست هذه المشاركة الوجدانية مقصورة على الانسان ، بل هي واضحة في كثير من الحيوانات الراقية التي تسيل بطبيعتها الى التجمع ، فهي كما يقول العلامة (مكدوجل) تربط كل افراد الجنس الواحد من الحيوان معا ، وتوحد اعمالهم وتنظمها بطريقة تجعل منها جماعة قوية تعوض بانحادها في ميدان الجهاد للعيش ما ينقصها من الذكاء وحسن التصرف . وهذا هو السبب في أن اخراج البعسوب - ملكة النحل - من الخلية عنوة يحدث في نفس الدبّر - جماعة النحل - انفعالا شديدا ، فتنتقل من الخلية انطلاق السهام للبحث عن البعسوب في كل مكان ، وكلما طال عليها الوقت تزايد هياجها ، وتعالى طينها .

ويقول العلامة الامريكي (هولز) ان جماعة النحل والنمل وكثيرا من الحشرات يظهر عليها الغضب اذا غضب احدها ، فتجعل تتجمع ، وكلما زاد عددها ازداد غضبها ، فتتلف كل ما تجده في سبيلها ، حتى لا تبقى ولا تذر .

ويؤكد العالم الألماني (كهلر) أن سراخ فرد من الشيماني أو
هجومه على اسان يكفي لاثارة غضب الجماعة فشب افرادها من كل مكان
 للمشاركة في هذا الهجوم •

فلا غرابة اذاً في أن يكون الوجدان المشترك دعامة من دعائم القومية
العربية •

ولهذا الوجدان المشترك عدة مظاهر •

١ - التآلف والتعاطف

ليس من شك في أن للامة العربية وجدانها المشترك في احدائهما
العامه ، ممثلاً فما تتجاوب به من أفراح أو أتراح ، ومن رضا أو سخط ،
ومن قلق أو اطمئنان •

وهو في أعم حالاته وجدان حافز الى العمل ، سواء أكان هذا العمل
سخاء بالمال أو انقال ، أم للدماء ومشاركة في القتال ، ثم سخطاً على
المستعمر وتشجيعاً بمظالمه وحضاً على النار منه ، وعلى تحطيم استقلاله ،
أم مشاركة في الزهو والفخار ، أم مجاوبة في الفرح والابتهاج •

ولقد برع شوقي في تصوير الوجدان المشترك تصويراً جمع بين
الصدق الواقعي والصدق الفني في قصيدته التي حيا بها مابيعه بامارة الشعر
من أقطار العروبة سنة ١٩٢٧ ، اذ وصف المهرجان بأنه عكاظ واجتمعت
فيه العروبة - التي عبر عنها بالشرق على نهج كثير من الشعراء - ثم
ختم القصيدة بتصوير الامة العربية جسداً واحداً اذا اشتكى عضو منه
تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والالام ، فاذا تأوه بالعراق جريح أمسك
اخوته في الوطن العربي جنوبهم ، كناية عن الالم الشديد الذي يضطر
انتالم الى هذه الحركة ، وعرض شوقي لبعض ما يتصل بوحدة الشعور
بالآلام من مظالم الاستعمار ، والتكيل بالاحرار ، والجهاد للاخلاص ،

فقال :

باعتكافا تألف الشرق فيه من فلسطينه الى بغداده
شرقت مصر بالشموس من ا لشرق تجوم اليان من اعيانه
رب جار تلقت مصر توليه سؤال الكريم من جبراه
بعثني معزيا بما قسي وطني أو مهثا بلسانه
قد قضى الله أن يؤلفنا الجبر ح وأن تلقى على أنسجانه
كلما أن بالمرأق جريح لس الشرق جنبه في عماه
وعلى كما عليكم حديثه تنزى اللوث في قضائه
نحن في الفكر بالديار سواء كلنا مشفق على أوطانه

وأغلب الظن أن علي الجارم أعجبه فصله وأضاف اليه خفوض
والوانا وأبعادا ومعالم ، وصور الشاعر مشتركا بين الجمادات والنباتات ،
غير مقصورة على الاناسي ، ليؤكد انها بينهم قوة غاية القسوة ، لانها
استجابة الفطرة لا تزول ولا تحول .

قال الجارم :

تذوب حشاشات العواصم حسرة اذا دمت من كف بغداد اصبع
ولو صدعت في سفح لبنان صحرة لك ذرا الاهرام هذا التصدع
ولو بردى أنت لخطب مياهه لسالت بوادي النيل للنيل أدمع
ولو من رضوى عاصف الريح مرة ليات له أكبادنا تنقطع

وقال في قصيدة أخرى :

اذا مست البأساء أذيال دجلة قرأت الاسى في صفحة النيل والكمدا
وان طرقت عين بغداد من قذى رأيت بمصر أعينا مثلت سهدا

وقال في قصيدة ثالثة :

بغداد يا بلد الرشيد ومنارة المجيد الليد
اهلك أهلونا وأبنينا العشيرة والجدرود
بين القلوب تشوف كتشوف الصب العميد

حتى يكاد يحجب بخلتك نحل أهلي في رسيه
الرافدان مازججا في الحب بالسل السعد
ونعشق اعلان حل الطاق وابهره اشد

ب - فظائع الاستعمار

هـ العرب الاحرار ينضون الاستعمار ، مفدين وطنهم بالدماء
والارواح مسبيين الى مدين الكفاح ، غير آبهين بحود العدو الكثير
واسحته الموقرة ، ووحشته المسمورة •

وحينا كن يشهد بعضهم في الجهاد ، أو تضرب مدنها بتفاني .
يهيج أخوانهم في الاقاليم الاخرى ، ويشاركونهم في الاسى والسحق على
العدو العاشم •

ولشوقي في هذا اسجل صوت طنا دوى وجدجل •

فلما ضرب الاسطول الايطالي بيروت سنة ١٩٢١ والحرب قائمه
في طرابلس بين العرب والايطاليين ، قال شوقي قصيدة صور فيها الاعداء
الذين قتلهم اعداء سودا ماتوا عدرا في غير معركة ، فلبس لابطالهم
أي فخر في قتلهم ، لأن الميت المقيد يسهل صيده أما الميت الطليق فان صيده
مرهوب •

وحرن شوقي على دماء الابطال التي سالت حول المساجد والكنائس
والدور ، تمنى لو طال العمر بصحابها ليزودوا عن الحمى ، وصور
أسى المصريين مما نزل باخوتهم اللبنانيين بكوا بيروت بدموع لو استطاعوا
أن يمسكوا حراحها لقتلوا ، ولكنه عبر عن المصريين بانهم (حيرة)
بيروت ، ولو انه قل (اخوة) لاصب الحقيقة :

بيروت مات الاسد حتف أوفهم لم يشهروا سيفاً ولم يحموك
سبعون ليثاً أحرقوا أو أغرقوا ياليتهم قتلوا على (طروك)

كل يصعد البيت وهو مهـمد
 يا مـضرب الحـيـم المـيـه لـقـرى
 ما كنت يوما للقبائل موضعـا
 سالت دماء فيك حول مسـاجـد
 كما يؤمن أن يـمـدّ بـقاؤهمـا
 لك في ربا الليل ابارك جـيرة
 ويـعـبرُ صـيد الضـيـم المـكـسـوك
 يا أصـب المـجـم الـالى صـريـوك
 ولو أنها من عـسـجـد مـسـسـوك
 وكناش ومدارس وسـوك
 حتى تبـل صـدى القا المشـسـوك
 لو يقدرون بدمعهم عـسـلـوك

ولما ثارت سورية على الحكم الفرنسي سنة ١٩٢٥ ثورتها الباسلة
 التي استمرت سنين ، وضرب الفرنسيون دمشق بمدافعهم في مايو سنة
 ١٩٢٥ المهيت عواصف شوقي وحزع مما أصابها ، ومجـد ماضـيـها
 وحاصرها ، وصور عزازتها عليه وعلى الامة العربية ، وحرر لها أحـدثـه
 الفرنسيون بآثارها الخالدة ، واستنكر وحشيتهم ، وحمل عليهم ونـدد
 بهم ، لانهم تنكروا لاصول ثورتهم التي زعموا أنها كانت أول هدف
 بالحرية والاحاء وندد بهم ، لانهم تنكروا لاصول ثورتهم التي زعموا
 أنها كانت أول هدف بالحرية والاحياء والمساواة ، وندد بطيش القائد
 الفرنسي ، ووصفه بأنه أحـمـق غاشـم كان حربا على فرنسا بما جنى ، وسـ
 حر عليها من سنة وسوء سمعة ، ثم اندر فرنسا بأن السوريين لابد أن يسـلوا
 حريتهم ، وبأن وحشيتها غذاء لحماستهم ، لان شهداء الجهاد خـدـون ،
 وذكراهم يؤرث الفضل .

وحتم القصد شجع السوريين على الجهاد ، ونصحهم أن
 يحذروا خـدع فرنسا ، لانها تحاول ان تصرفهم عن الاستقلال بأوهمـ
 خداعة كالدولة السورية ، ولتان الكبير ، ودولة جل الدروز ، وحكومة
 العلويين ، وبألقاب توهم بالملك والسيادة وهي في حقيقتها ذل واستـعـاد ،
 وصور لهم الحرية حصا لا يقرع يابه الا المجاهدين المصبوغة ايديهم
 بدماء الجهاد .

ولقد غاطت القصيدة فرنسا ، فصمت شوقي أن يزور المغرب الندى
كان خاضعا لها حينئذ :

سلام من صبا برده ارو
ومعذرة اليراعة والقواهي
وذكرى عن خواطرها لقلبي
وبى مما رمتك به الليالى
لحاهما الله أنباء توالى
تكاد لروعة الاحداث فيها
وقيل معالم التاريخ هددت
أنت دنى الاسلام ضرا
صلاح الدين تاجك لم يجمل
وكل حضارة في الارض طالت
نيت الدولة الكبرى وملك
له بالشماع اعلام وعمرس
سلى من راع عبدك بعدوه
ولمستعمرس وان ألسوا
رماك بطيشه ورمى فرنسا
إذا ما جاءه طلاب حق
دم الثوار تعرفه فرنسا
وحررت الشعوب على قاهها
بنى سورية اطرحوا الأمانى
فمن خدع أسيسه ان مروا
وقفتم بين موت أو حياة
وللاوطان في دم كد حمر
ولا يبنى الممالك كالضحايا
ففي القتلى لاجيال حياء
وللحرية الحمراء بسات

ودمع لا بكفكم يا دمشق
جلال الرزة عن وصف سد
الك تلمت أبدا وحفـسق
جراحات لها في انقب عمق
على سمع الولي بما يشق
تخال من الخرافة وهي صدق
وقيل أصابها تلف وحرق
ومرضعة الابوة لا تنق ؟
ولم يوسم بأزين منه فرق
لها من سرحك العلوى عرق
غبار حضارته لا يشق
شائره سدس سد
ابن فؤاده والصخر فرق ؟
قلوب كالبحارة لانرق
أخو حرب به صلف وحمق
يقول عصاة خرجوا وشقوا
وتعلم انه نور وحق
وكيف على قناها تسترق ؟
وألقوا عنكم الاحلام ألقوا
بالقاب الامارة وهي رو
فان رمت نعيم الدهر فاشقوا
يد سلفت ودين مستحق
ولا يدنى الحقوق ولا يحق
وفي الاسرى فدى لهم وعنق
بكل يد مضرجة يسبق

ج - رؤساء المجاهدين

• أنه وحده في وطن واحد •

• أمه وفيه لأعداءه انجده من وعصائرها الراحلين •

وشعراؤها كلفتون بالطوبى والنجدة ، تيهون ، لأبطال والمجاهدين ،

فمن الطبيعي أن يكون الشهيد في العلم عربي شهيد الوطن العربي كله ،

• كان كور حس في يد عربي عظم في غير العرب جميع •

• وهذه حروب الشعراء برؤساء الزعماء وإفئدة واشهداء واعتمده •

• وكان شوقي من السابقين في هذا المجال •

فلما احتلت سورية بذكرى استقلالها سنة ١٩٢٨ ، محمد شوقي

شهدها ، واختص بطلها يوسف العظمة بالإنادة ، وقد كان يوسف وزير

الحربية في حكومة فيصل بن الحسين بعد فتح سورية بشدة فصل •

واستطاع يوسف بعد إنشاده بفصل ملكا على سورية أن يصم حننا وصيا

من عشرة آلاف مدني • فلما أعلن الحلفاء في مؤسّر من ريسو سنة ١٩٢٠

فرض الاستدباب على سورية ، وتحرك الجنرال غورو ليحل دمشق ، نهض

يوسف اعتمده صده ، وكب موقعه ميدان أبي نبي في العرب أعظم

بالأ ، واستشهد فيها يوسف ، فكان من طلائع شهداء الحرية والعروبة •

صور شوقي قبر يوسف العظمة يهتف بالجهاد للثأر له من سرسبي ،

وبوه بطولته في ماضيه الجيش الفرنسي البعي المستنصر بطياراه وديبه ،

وكيف استمر بها يوسف ، وثبت في مكانه كعصود ، حتى استشهد أن

في ميدان الشرف ، مكانا من المسلمين والنصارى جميعا :

تذكر م حنت حذار قبر معاصر حلف ركب ارم لا

مقيم م اقام مسطور يدكر مصراع الاسد شالا

لقد اوحى اني ما شادي كما توحى القور اي الحكيم

نفس عظمه العظمت فسه واول سد لقي اسلا

تري نور العقيدة في ثراه وتنشق من جواسسه الخلالا

ووجه الارض تسجد له لا	والارض نحو تسجد حذو
فما من احبوب ولا من لا	والارض ابراج عليه سرا
فما من قرص الشمس والا	وهو ينفق ويدسي
ولست ترى الشك والاشك	وصاح رى به فيه سدا
وغيب حيث جال وحيث صلا	فكش بصواره وعواسي
سمعت لها ازيرا وابتهلا	اذا مرت به الاجيال تسري
وحلق في سرائرهم هلالا	تعلق في ضمائرهم صليلا

ورثي الزعيم السوري فوري العزي سنة ١٩٣٠ ، ولكي يبه بصلا
عربيا كان يزود عن الوطن كما زاد اسلافه من بني عبد شمس وبني امية ،
وختم القصيدة بدعوة المجاهدين ان يرعوا وحدتهم ، واستحلفهم بالله وبمحمد
وبعيسى وبالغزى ان يعتصموا بالوحدة ، لان خروج واحد من الصف قد
يحبط التدبير المحكم ، والفكير السديد ، واجهاد المظفر :

جرح على جرح حالك جلق	خضت في نوحى احب وروع
----------------------	----------------------

.....

يا ماتما من عبد شمس منلته	للشمس يصنع في امات وينشق
ان ضاق ظهر الارض عت قبضتها	عما وراءك من ردت اضيئها
لما جمعت الشام من اصرافه	واهى يعزى الشبه في اشرفه
يبكى لواء من شباب امية	يحمي حمى الحق امين ويحنق
من مبلغ عى ثبولة جلدنى	قولا يبرر على الزمان ويصدق
بالله جل جلاله بمحمد	يسوع بالغزى لا تفرقسوا
قد تعد امرعى على اخوانهم	شاة تد عن القطيع وتمرق

ورثي سنة ١٩٣٠ الحسين بن علي زعيم الثورة العربية على الاراك ،
واحسن الاعتذار له عن مهاجمته من قبل ، لانه تبين ان الحسين ماض

كان بأمل تحرير العرب ، ولكن الاستعمار خدعه :

قد بعثت القضية اليوم مبتلى	رب عظم أتى الامور العفانىم
أنت كالحق ألف الناس يقطا	ن وزاد اتلافهم وهو بائس
حبذا موقف غلبت عليه	لم يقفه للعرب قلبك حاد
دائدا عن ممالك وشعوب	نقلت في الاكف نقل الدراهم
كل ماء لهم وكل سماء	موطن الخيل او مطار افشاء

ورثي للشهيد عمر المحذر ، بطل طرابلس الذي لقي الايطاليين في عشرات المواقع ، فلما قبضوا عليه اعدموه سنة ١٩٣١ ولم يعطهم عليه ما عرفوا من بطولته وشجفه بوطه ، ولم يرحموا سه التي يفت على التسعين .

وقد حمل في مرثيته على ايطاليا ، وانذر بها بئرا اشد وانكى ، وصور رفات الشهيد المواراة بالثرى كنزا من الحصاة المنقذة ، يستنهض العرب في كل وقت أن يثاروا لشهيدهم ، وان يقدوا بجهادهم ، وأيقن انهم سيورثون ابناءهم بغضهم للايطاليين والدأب على نضالهم ، حتى يصدروهم من ديارهم ، ثم ختم القصيدة نصائح اختص بها الشباب الليبي :

ركزوا رفاتك في ارمال لواء	يستنهض الوادي صياح مساء
يويحهم صبوا مارا من دم	يوحي الى جيل الغد البضياء
جرح يصبح على المدى وصحية	تلمس الحرية الحمراء
افريقيا مهد الاسود واجدها	ضجت عليك أراجلا ونساء
والمسلمون على اختلاف ديارهم	لا يهلكون مع اصاب عزاء
والجاهلية من وراء قبورهم	يكون زيد اخيل والعلامة
لبي قضاء الارض اسس بجهامة	لم تخش الا للسماء فضاء
وافاء مرفوع الجبين كانسه	سقراط جر الى القصاة رداء
وأتى الاسير يجر ثقل حديد	اسد يجزر حية رقطاء
عضت بساقيه القود فلم يسوء	ومشت بهيكله السنون فناء

د - الفرح المشترك

كانت اهاليج البهجة في اقليم من الوطن العربي تتحارب به بميه
الاوليم ، وكثيرا ما صور الشعراء افراح العرب اشتراكه ، وابهجوا به .
فحيما احفلت سورية سنة ١٩٢٨ بعيد استقلالها جبهه شوقي بنصده
اشاد فيها بالاحياء من الاحرار وبالشهداء والاطال ، وبوه بما بين مصر
وسورية من اخاء ومن ضيق بقيود الاستعمار :

بنى البلد الشقيق عزاء جـار	اهاب بدمعه شجن فـسـالـا
قضى بالامس للابطال حقـا	واضحى اليوم بالشهداء عالي
يعظم كل جهـد عبقرى	اكان السلم ام كن القـالـا
وما زلنا اذا دعت الرزايا	كأرحم ما يكون اليـت آلا

ثم حضهم على الاتحاد والعمل الدائب في السلم وفي الحرب ، ودعاهم
الى الاعتصام باخاء المسلمين والنصارى ، والى الحرص على اشم اشمل ،
وذكرهم بوعود الاستعمار الخادعة وعهوده المنقوضة ، ليأخذوا حذرهم :

بنى سورية التـمـوا كـيـوم	خرجتم تطلبون به التـزـالـا
سلوا الحرية ازهراء عـبـا	وعنكم هل اذاف الوصلـا ؟
وهل ثلنا كـلـا اليـوم الـا	عراقيب المواعد وانطـالـا ؟
عرفتم مهرها فمهرتموهـا	دمـا صبغ السباسب والدعـالـا ؟
دعـوا في الناس مـنـوا جـبـنا	يقول : الحرب قد كـانـت وبيـلا
وكونوا حائطا لا صدع فيـه	وصفا لا يزقـع بالكسـالـا
وعيشوا في طلال السلم كـمـا	فليس السلم عجزا وانكـسـالـا

التاريخ المشترك

لم يكن عن مصادفة هذا القدر الكثير في الشعر الحدث شريح
العرب المجد وحضارتهم المريقة ، وتراثهم المشرق ، وعظمتهم وإبائهم •
ولم تكن الأشادة بهذا مظهر من مظهر الافتدار على المعارضات
الشعرية ، أو تدريب القرائح على التحويد ، بل كان عملا مقصودا صادرا
عن عواطف قوية صادقة ليله •

ذلك ان العرب افاقوا في أواخر القرن التاسع عشر ، ودا اعداؤهم
يستقصون اقدارهم ، ويستولون على بلادهم ، ويحاولون ان يطمسوا معالم
مجدهم ، ويرخوا استارا كنيمة صفيقة بينهم وبين ماضيهم العريق اجدل
بالعظمة والعظمة ، على حين ان هؤلاء الاعداء يحرصون اشد احرص على
التويه بتاريخهم هم وبعتنمتهم وعظمتهم ، ليضعفوا ثقة العرب بانفسهم •
أفاق العرب على هذه الخدع التي حاكها الاستعمار ، فنبوا سراعا الى
إبطالها واجباها ، فاحياوا تاريخهم المجد ، واشادوا بحضارتهم ازهرراء ،
ووهوا بأسلافهم الذين سمو في كل ناحية من نواحي الجدد ، ليصدوا
الدعوى الاجنبية عن العقول والعلوب ، وليصاعفوا ايمان العرب ~~القديم~~ ،
وانهم اهل لان يسودوا كما ساد آباؤهم ، واهل لان ينبغوا كما نبغ
اسلافهم ، وليبينوا ان الضعف الذي يعانون حرائره ليس طبيعة فيهم ، بل
هو طارىء موقوت ، مناهم به الانقسام والاستعمار والحلل من اشد العلب
التي سنها لهم دينهم ، وارسى قواعد اجدادهم ، وهم لا يلبثون ان
ينهضوا الى ذروة العلا والقوة والمجد ادا ما عرفوا قدر انفسهم ، واهندوا
بالعزم النفس السامية التي حلقها لهم سابقوهم •
وقد سلك المستبشرون والقادة الى احياء المجد القديم مسلك متوعه ،
كان الشعر من ابررها •

فإذا ما رجعا الى شوقي استرعى نظرنا انه كبيرا ما لهنج مدني
العرب امجد ، وانشاد بحصارهم وترانيم وانظائم وعصاهم ، قصد بعث
العزائم على رفض الذل ، والافقه من الاسمراء ، والاقداء بالاحداد الدس
كانوا سادة العالم وزينه الارض ، والمثل العالية في القود وابعوله والعلم
والحضارة ومكارم الاخلاق ، فانه لا يحفز الامم على الهوض مثل الجهد
الدائب لاستعادة مجدها الداهب .

فهو نصف العرب بأنهم امة اليان والعلوم ، سادوا العالم ، وكو
اساذته احقابا طويلا ، وكان الحق والعدل والحرية وانخير واعلم توافي
فتوحهم حيثما حلوا ، فهم الذين حملوا معهم تعاليم الاسلام الى كل اقليم
رلوا به ، فظفوا ابشرية من امراسها ، وسوا به اسمى اسم في اعبيده
والشريع والتفكير والاجتماع والحكم وسائر ما تصل برقي الافراء
والجماعات . وليس للبشرية دواء ناجع بقيها ويعالج ادواها غير الاسلام ،
بما قضى من عقائد وتشريع ونظم يقتبس منها اتباعه وغير اتباعه ، وهي
نظم يجد فيها المصلحون بنفسهم ، ويجد فيها العلماء والباحثون طبهم .

ثم اسكر شوقي من الاعام ابداء بحصن ز من داعية و عرف
ان ينعجوا من ان تحرج الصحراء عبقرية في الساسة والعلوم ، وان
يطلق من الحيام افداد في الحروب وقبده الحيوش استطاعوا في زمن
قصير ان يدكوا عرش كسرى وقصر ، وان يقيموا حكما اساسه العدل
والحرية والرخاء والخير للمحكومين :

أمة ينتهى اليان انهم وتقول العلوم والعلماء
جازت النجم واطمأنت بأفسق مطمئن به السنا والسما
كلما حثت الركاب لأرض جاور الرشكده اهلها والذكاء
وعلا الحق بينهم وسما الفضل ونالت حقوقها الصعما
تحمل السهم والوسيلة والميزان من دنها الى من شـ

فيه ما تشتهى العرائم ان هم ذووها ويشتهى الادكياء
 ايرى العجم من بنى الطل والماء عجبيا ان تنجب الياء ؟
 وتير الحيام آساد هييجا تراها آسادها الهيجا

ثم وقف على آثار العرب بالاندلس ، فغالبه البكاء اذ اسرجمع تاريخهم
 الوضاء هنالك ، فترقرق الدمع في عينه ، ولكن ثناه عن البكاء وعن احداث
 الدمع اجلاله لاجداده الابهة ، الذين لم يخضعوا الا لله ، ولم يبكوا الا
 في صلاتهم وضراعتهم لله ، وهو بهذا التصوير يضعهم في ذرا العزة والكرامة
 والاياء في علاقتهم بالاقوياء من الناس ، ويصفهم بالتدين وحب الله واحشيه
 من عقابه والاقبياد به ، ثم يعقب على هذا بانهم سادوا العالم ، معتمدين
 على دينهم ، وعلى اخلاقهم التي اشهروا بعالاتها قبل اسلامهم :

رسم وقفنا على رسم الوفاء له نجيش بالدمع والاجلال يثيب
 لفتية لا تنال الارض ادمعهم ولا مفارقهم الا مصلين
 لو لم يسودوا بدين فيه منبهة للناس كانت لهم اخلاقهم دين

وكذلك ناجى بني امية في دمشق ، فمجدهم ، وهى بفنوحهم وفوتهم
 في الشرق وفي الاندلس :

قم ناد جبق واشد رسم من بنوا مشت على الرسم احداث وارمر
 هذا الاديم كتاب لا كيف له رث الصحائف باق مه عنوان
 الدين والوحي والاخلاق طائفة منه ، وسائر دينا وبهتان
 بنوا امية للانباء ما فتحسبوا وللحاديث ما سادوا وما دانوا
 كانوا ملوكا سرير الشرق تحنهم فهل سألت سرير الغرب ما كانوا ؟

ثم كرر المحذر في قصيدة اخرى ، وصف فيها دمشق بها صر
 للاسلام رت كثيرا من رجاله ، وحسبها من العظمة انها شوى رفات

اللاجئين ، وانها كانت عاصمة الامويين الذين مهدوا لدوله احده
في الشرق ، واسسوا الدولة الامويه في الغرب ، فكسوا اسما لحضاره
هؤلاء وهؤلاء ، واذ كانت حضارة العباسيين والاندلسيين ذات اثار عظمه
في حضارة الامم الغربيه ، فان للامويين اداً فصلاً على هذه الحضارات
لا ينكر :

التي دمشق بلاسلام شرا	ومرصعة اليهود لا عسى :
صلاح الدين تاجك لم يُجمل	ولم يؤسم باحمل مه فرق
وكل حضارة في الارض طالت	لها من سرحك العلوي عرق
سماؤك من حلي الماضي كتاب	وارضك من حلي التاريخ رق
بنت الدولة الكبرى وملكها	غبار حضارته لا يشفق
له بالشام اعلام وعرش	يشأثره باندلس تسود

وقال في قصيدة اخرى :

لولا دمشق لما كانت طليطلة ولا زهت بيني العباس بعداد

على ان له ديوانا مستقلا في (دول العرب وعظمة الاسلام) ، واربع
مدائح نوية اشاد فيها ثغمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالشريعة
الاسلامية ورجالات العرب .

وله قصيدة في تمجيد العرب بالاندلس وبكاء حضارتهم ، مطلعها :

اختلاف النهار والليل ينسى اذكرا لي الصبا واناء اسي

وله موشح في صقر فريش عبدالرحمن الداخل ، مطلعها :

من ليظور يتنزي أماب برح الشوق به في العلس
حن للبان وتاجي لعلم ابن شرق الارض من اندلس ؟

كما نجد في ديوانه ابيانا كثيرة تنوء بعظمة العرب مثل الايات التي

في قصيدته (كبار الحوادث في وادي النيل) ، والآيات التي في قصيدته (أيها النيل) . فهو في أشاده بالعرب الذين فتحوا مصر يصنفهم بالشجاعة المفرقة بحكام الأخلاق ، لأنهم يجهدون ليحققوا الحق ويذهبوا الباطل . فلابغي ولا جبروت ولا استعمار ولا استئثار بخيرات البلاد ، وبأنهم كانوا مثل الأعلى في التامع والعدل والمساواة ولم يكونوا أصحاب أبهة واستعلاء ، ويرسم صورة رائعة لعمر بن العاص وأبي مصر وهو جالس على حصير كما يجلس الناس ، وحوله ابنة روحانية من دينه وأخلاقه تقوى ابنة الملك المتوج ، وهو موثل الخائفين ، وملاذ المستضعفين ، ثم يؤكد عدله بأن النصارى واليهود أجود ، ودعوا له في كائسهم وبيعهم ، لأنه انتقمهم من أهوال الرومان ومظالم البيزنطيين . قال شوقي في مناجاة النيل :

وودائع الفاروق عندك دينسه	ولواؤه وبيانه والمنطق
بعث الصحابة يحصلون من الهدى	والحق ما يحيى العقول ويفتح
احلاس خيل يند أن حسامهم	في السلم من حذر الحوادث مقلق
تطوى البلاد لهم وينجد جيشهم	جيش من الأخلاق غار مسروق
في الحق سل وفيه أعمد سيفهم	سيف الكريم من الجهالة يفرق
والفتح بغى لا يهون وقعه	الا العفيف حسامه المترق
ما كانت الفطاط الأخطاسا	ياوى الضعيف لركنه والمرهق
وبه تلوذ الطير في طلب الكرى	وبيت قيصر وهو منه مسروق
عمر و على شطب الحصار معصب	بقلادة الله العلى مطسوق
يدعوه الحاخام في صلواته	موسى ويسأل فيه عيسى البطرف

ويتحدث شوقي عن بطولة صلاح الدين وحمايته للمسلمين وتحريره الوطن العربي من الصليبيين اذ انتصرت عليهم موقعة حطين سنة ٥٨٣هـ (١١٨٧م) . وعن انتصار توران شاه على لويس التاسع ملك فرنسا والقبض عليه واسره في موقعة المنصورة سنة ٦٤٨هـ (١٢٥٠م) ثم اطلاقه

بفدية ، لا لان مصر أغرتها الفدية ، او كانت محتاجة اليها ، بل لانها
اطمأنت الى انه صار بعد الهزيمة والاسر لا يخشى له بأس . ثم ختم شوقي
اياته بالعظمة البالغة من هذه الاحداث ، وهي ان العرب كانوا أصحاب
هذه الاخلاق العظيمة التي أراد الاستعمار تشويهها ، وباخلافهم هذه سادوا
وشادوا وخلدوا ابناء يتناقلها التاريخ في زهو بهم وفخار :

يعرف الدين من صلاح ويدري	من هو المسجدان والأسماء
انه حصنه الذي كان حصنا	وحماه الذي به الاخفاء
يوم سار الصليب والحاملوه	ومشى الغرب قومه والنساء
يضمرون الدمار للحق والناس	س ودين الذين بالحق جاءوا
ويهدون بالتلاوة والصليبان	ما شاد بالقنا البناء
فتلقتهم عزائم صدق	نص للدين ينهن خباء
مزقت جمعهم على كل ارض	مثلا مرق الظلام الضياء
وسببت أمرد الملوك فرته	وما فيه للرعاية رجاء
ولو ان الملييك هيب اذاه	لم يخلصه من أذاها القداء
هكذا المسلمون والعرب النخا	نون لا ما يقوله الاعضاء
فيهم في الزمان نلنا الليالي	وبهم في الورى لنا أنباء

واذ خايل شوقي بمجد العرب ، واشاد بابطالهم ، ونوه بفضلهم على
العالم كله ، لم يغب عنه ان يعيس الحاضر المتخلف الى هذا الماضي
السباق ، فيشتد به الاسى ، وتغالبه الحسرة ، ولكن حسرته لم تكن
استسلاما أو استكانة أو قناعة بحسب الآباء والاجداد ، بل هي وفاء للماضي
واعزاز ، وتبصير بما بينه وبين الحاضر من بون شاسع ، ليحفز العزائم
الى العمل الدائب ، وتحطيم قيود الخور والهوان ، فقد بكى حضارة
الاندلس في سبيلته ، وبكى عزة العرب في مناجاته لدمشق في نوبته ،
وحسبنا من بكائه قوله :

بنو أمية للابناء ما فحسبوا
 يا ويح قلبي مهما اناب أرسهم
 بالامس قمت على (الزهراء) أنديهم
 مروت بالمسجد المحزون أساله
 تغير المسجد المحزون واختلفت
 فلا الأذان أذان في منارتهم
 وللأحاديث ما سادوا وما دابوا
 سرى به الهم او عادته اشجان
 واليوم دمعي على (الفيحاء) هتان
 هل في المصلى او المحراب مروان ؟
 على المنابر احرار وعبدان
 اذا تعالى ولا الأذان أذان

هكذا كان شوقي يصدح بالعروبة ، ويحكي ذمارها ، وهكذا كان
 شوقي يتغنى للقومية العربية ، ويعلى منارها ، فليته عاش حتى يراها اليوم
 وهي تشق طريقها لتحقيق ما كان يرجوه لها .

